www.kotobarabia.com

مسرحية

عازف الناى

إبراهيم الحسينى

www.kotobarabia.com

عازف الناي

مسرحية

إبراهيم الحسيني

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

عازف الناي

حالة مسرحية من ثمان لوحات

١- البدء .. كان كلمة .....

٢- أول الحزن .. رؤيا .....

٣- إنحنِ وأنت تتوقّع .....

٤- عازف الناى يأتى متأخراً ....

٥- رد كلامك ودعنا نحيا ....

٦- كيف نكون حقراء ....

٧- جبال الثلج ......

٨- آخر أيام الدنيا ......

الشخصيات

- عازف الناى
- الشيخ معلم الأطفال
- سعفان الكبير
- الغريب
- شاهر العراف
- صلاح
- زاهر
- سلمى
- ضاحى
- الأم
- مسجل الاختراعات
- مجموعة المخترعين [مخترع (١)،(٢)، (٣) ....]
- مجموعة الأطفال [طفل (١) ، (٢) ، (٣) ....]
- رجل (١) ، (٢) ، (٣) ....
- امرأة (١) ، (٢)
- حارس (١) ، (٢)

البشر لآدم .. وآدم من تـراب .. سـأعود إلـى التراب وسأنيب شجره يأكل أطفال القرية من ثمارها أو سنبلة قمح يصنع منها رغيف خبـز .. وربمـا يمـوت جسدى وتظل روحى هائمـه تطـارد أهـل القريـه .. تستحثهم على الخلاص .. ثم تركن فى الليل إلى الأطفال تعلمهم القراءه والحساب ..

المقطع الأخير:

" الشيخ معلّم الأطفال "

(١)

الواقعى ، والغرائبى فى الأمكنة والأحداث ، الزمن بتشكّلاته المختلفة ، الشخصـيات بماضـيها ، حاضـرها ، أحلامها ، بوجودها الفيزيقى / الواقعى ، ووجودها المتخيـل ، ... كلُ ينصهر كوحدة واحدة ، حاضرة لخدمـة المشـهد المسرحى المرئـى / المسـموع / اللـونى داخـل الـنص المسرحي .

(٢)

المنظر المسرحى ثابت طوال المسرحية فيما عـدا بعض الموتيفات الضرورية المتغيرة حسب الموقف الدرامى ، فمن خلال عدة مستويات متدرجة فى الارتفاع نستطيع أن نلمح بعض الأماكن ، ففي عمق اليمين

[اليمين واليسار بالنسبة للمتفرج] نلمح معمـل صـلاح وزاهر وهو معمل للاختبارات العلمية ، مواقد غاز ، مـواد كيميائية ، كومبيوتر ، أقلام ، أوراق .... ، وفي المقابـل / عمـ ـ ـق اليسـ ـ ـار بيـ ـ ـت كبيـ ـ ـر القريـ ـ ـة **[الكبير]** ، وفى الوسط وإلى الأمام قليلاً كتّاب القرية حيث

تجمع الشيخ معلّم الأطفال والأطفـال .. ومنتصـف خشـبة المسرح الأمامية خاليه إلا من جذع شجرة جرداء ، وبعـض الأماكن للجلوس منحوتة من الصخر والخشـب لاسـتعمال عازف الناى ، وبقية أهل القرية .. بين هذه الأماكن وبعضها مشّايات تصل بالممثل إلى أى مكـان يريـده ولا فاصـل ، فتحديد الاقامة غير وارد بالمرة بل إنه غير ضرورى فـي أكثر الأحيان ..

أما مشاهد تجسيد الأحلام والرؤى المتداخلة فيجب أن يكون للموسيقى والإضاءة دور البطل فيها ، وذلك بالإضافة إلى ما تراه تخييلات المخرج ..

(٣)

عن الحرب والتفكير :

مازال في قريتنا رجلُ يفكر .. كان إذا صـحا مـن الأرق فكر ، وإذا رجع إليه فكّر وإذا خط ما فكر فيه انطلقت الحروف طيوراً برية لها أجنحة الشمس واتساع الحريـة ، والأطفال من حوله يرددون ما فكر فيه . دافعين الغيوم بعيداً

إلى ما بعد مقدرتهم علي التخيل يلملمون أشـلاء خريطـة بلادهم ليرصوها جنباً إلى جنب ، فتزوغ منهم حدودها ..

صاح أحدهم : إذا أردتم أن تصلحوا أوراق الخريطة المتناثرة فأصلحوا وجه الإنسان على الناحية الأخرى من الأوراق ..

ابتسم الشيخ معلّم الأطفال وأخرج قطعة سكر ليضعها في فم الصبى ، ورفع يده .. فانْتَبَهُوا .. وبدأ المشوار ..

خاف الصورة مازال أهل القرية يدورون في دوائر العيش ، الخبز .. والجد .. والطاعة .. و ... وما بين الصورتين تمرح الدهشة باتساع العمر .. ومن الهوة بين الفكر والدهشة صُنعتْ الحرب ..

البدء ... كان كلمة ..

[أهل القرية ينتشرون داخل أرجاء المنظر المسرحى يبدون كتماثيل نحاسية .. صامتين لا يتحركون فقط تـنجم عنهم ما بين لحظة وأخرى أصـوات تثـاؤب ، ضـراط ، تنهدات ، آلام ، .... إلخ ..

يدخل سعفان الكبير ، وهو رجل جاوز العقد الخامس من العمر ، متباهٍ بقوته وجبروته ، همجى ، محاطٌ دومـاً بالحراس يتبعه شاهر العراف ملتصقاً بحذائه وزاحفاً علـي الأرض ..]

العراف : أرجوك .. اعطنى ميعاداً **[يكررها عدة مرات ..]** قل لى قابلنى في المكان الفلانى وسـأتركك .. سيستريح بالى بعدها .. أرجوك أنـا أحـس بالضياع .. انتشلنى .. سأموت ..

الكبير : **[للحراس]** أبعدوه عنى **[ينظّف سرواله من آثار يدى العراف]** نبهوا على أهل دارى يجـب أن تغسل هذه الملابس جيداً .. **[يخرج والحراس**

وراءه ..]

العراف : **[صارخاً]** لا .. أرجوك اسمح لى أن أغسلها أنا .. فعلتها لمن هم أقل منك كثيراً .. **[يبكـى]** أعطنى ميعاداً .. وقل لى سنتحدث في مـاذا ؟ ! وهل سنختلف أم لا .. ؟ أعدك .. لن نختلف فأنا رهن إشارتك ويحق لك أن تفعل بى ما تشـاء .. أرجوك أعطنى ميعاداً **[يكررها وهو يخـرج .. يظهر صوت طرقات نحاس يتحرك ضاحى أحـد أهل القرية وهو شاب لم يتجاوز الثلاثـين مـن العمر .. يتحسس امرأة بجواره تبدأ فى التحرك هى الأخرى ..]**

ضاحى : **[للمرأة]** أنت امرأة .. ؟

الأم : وأنت شاب قوى ..

ضاحى : هل نستطيع أن نكـون أصـدقاء .. أزواج .. أقارب .. ؟ !

الأم : أنت فى سن ولدى ضاحى ..

ضاحى : أنا أيضاً اسمى ضاحى .. هل تقبليننى ولداً لك .. ؟

الأم : **[تتحسس وجهه ويديه]** أنت .. أنت ضاحى ولدى ..

ضاحى : وأنت أمى ..

الأم : إذاً هيا لترى دارى .. دار أمك

ضاحى : بل ترى دارى .. دار إبنك ضاحى أولاً ..

[يهمان بالخروج .. تدخل سلمى وهى عروس جميلـة فى زى العرس الأبيض .. يتوقفان ..]

سلمى : ضاحى ..

ضاحى : أمى .. إنظـرى .. إنهـا سـلمى .. سـلمى عروستى الليلة زفافى يا أمى .. سلمى .. هـذه أمى ..

سلمى : وأمى أنا أيضاً .. هيا بنا قبل أن يمضى الوقت ..

[تتشابك الأيدى .. يخرجون .. تنزاح ستارة فى عمق خشبة المسرح يظهر الشيخ معلّم الأطفال وحوله مجموعـة الأطفال يرددون الألفبائية ..]

الأطفال : ألف لا شيئ عليها .. والباء نقطة مـن تحتهـا والتاء نقطتان من فوقها ..

الشيخ : بارك الله فيكم .. أرونى إذاً كيف تكتبون الألف **[يتناول ألواحهم]** هذا جميل .. وهذا .. وهـذا .. الله .. الله .. لقد تقدمتِ اليوم كثيراً يا سـلمى ..

الطفلة : لقد ساعدنى صلاح فى رسم الحروف ..

الشيخ : وقد نجح فى مسـاعدتك .. خـذوا **[يخـرج مجموعة من قطع الحلوى ويفرقها على الأطفال]** قطع حلوى بالسكر ، والآن رددوا افتتاحية ألفية ابن مالك ..

[صوت ضحكه مجلجلة ثم يـدخل الغريـب رجلاً أشيب بملامح مهندمة ومنسـقة جـداً .. يرتدى بذلة أنيقة ... يقترب من الشيخ والأطفال]

الغريب : ألا تخشى أن يسوسْ السكر أسنان الأطفال يـا ... يا شيخ

الشيخ : **[مبهوتاً]** السوس .. !

[يكف الأطفال عن الترديد ، وينكمشوا داخل عباءة الشيخ كأفراخ الكتاكيت .. تخفت الإضاءة

عليهم ، تنزل ستارة بيضاء من أعلـى لتفصـل الشيخ والأطفال عن الغريب .. يتوجه الغريـب إلي عازف الناى وهو رجل عجـوز لـه لحيـة طويلة وملابس لا تنم عن هوية بعينها ويحمـل معه لوحاً وقلماً وناياً ويجلس منفرداً بعيداً عـن أهل القرية .. يركله الغريب بقدمه ..]

عــازف الناى : لا شأن لك بى ..

الغريب : أكتب .. إن هذا الشيخ فاسد .. يخرب عقليـة الأطفال ويحضهم على ...

عــازف الناى : إذهب ولا تملِ على شيئاً .. أنا الذى أكتب ولا أحد يُملى على ما أكتبهُ ..

الغريب : أنا الذى ..

عــازف الناى : ابتعد .. وقل هذا لغيرى ..

الغريب : هكذا .. إذاً تذكر جيداً أننى جئت إليك عارضاً مساعدتى وأنت الذى رفضت .. تذكر جيـداً .. أنت الذى رفضت

[يكرر ذلك بحالة انفعالية تزداد تدريجياً ، ثـم يدهس فى طريقه بعضاً من أهـالى القريـة .. فيصدرون أنيناً خافتاً .. ثم شهقة عالية يفارقون بعدها الحياة ..

يكتب عازف الناى على اللوح .. ترتفع الستارة يظهر الشيخ وترديدات الأطفال .. يدخل شـاهر العراف وهو ممزق الملابس دامى الجسد ، يبكى في هيستيرية .. يقترب من الشيخ يرتمى علـى الأرض أمامه ...]

العراف : إقبلنى خادماً يا شيخنا .. أنا ....

الشيخ : لا .. لاتقل شيئاً الآن قُمْ اغتسل وبدل ملابسك واستغفر الله ثم صل .. وبعدها إن أردت قل لى من أنت وما هى حكايتك ...

[يخرج شاهر العراف .. يشير الشيخ للأطفال فيتحولون لترديد سورة الفاتحة .. يترك عازف الناى القلم واللوح ويتناول نايه ليعزف عليه مقاطع من لحن حزين .. يبدأ أهل القرية فى الخروج من المشهد .. إظلام تدريجى ...]

أول الحـــزن .. رؤيـــا ..

فضاء جغرافية المسرح ومـن خـلال الإضـاءات المتغيرة يبدو غير محدد الملامح .. تختلط داخله كثير مـن العوالم الواقعية والغرائبيه .. أفاعى ينتشر فحيحها داخـل المكان .. إنسان آلى يعذّب امرأة جميلة .. ضاحى مصلوب على جذع شجرة .. موسيقى توحى بجو الكـابوس تعلـو تدريجياً ومع الوصول لذروتها تنفجر بؤرة ضوئية حمـراء علي طبق أبيض كبير موضوعاً في منتصف أرضية خشـبة المسرح الأمامية .. ثم تصمت الموسـيقى ليحـل محلهـا أصوات نهجان مجموعات كبيره من الناس مشوهى الملامح وهم يدخلون زاحفين على بطونهم باتجـاه الطبـق الـذى

تتوالى عليه سقوط قطرات من الماء .. تضاء بؤره أخـرى

فى عمق الفضاء لعازف الناى يكتب على لوحـه ويعـزف

على الناى .. يتحسس الناس قطرات الماء .. ثم يشـهقون

جميعاً وهم يتدافعون للحصول عليه .. يقتل أحدهم الآخـر

لكى تزداد فرصته .. ثم تتوالى عمليات القتل حتى ينتهـوا

جميعاً .. تظهر بؤره ثالثة بالعمق فى مو١زاة بؤرة عازف

الناى لرأس كبيره وهى تضحك بسخرية .. تـزداد غرابـة

الأماكن المظلمة أو الخافتة الإضاءة بين البؤر الثلاث ممـا

يشكل إيحاء بكابوس مفزع ..]

عـــازف : [يكتب ، مع استمرار صوت الناى دون الناى عزف]

بدا وجه العالم القبيح .. الأفكار لـم تعـد تـؤدى المطلوب منها . لكثرة ما أجهضت .. وما فلت منها من الموت أصبح يفكـر لمصـلحته الشخصـية .. فالأجهزة أصبحت تفكر لمصـلحتها الشخصـية ، والطبيعة قتلت مواردها .. والكائنات تنقـرض إلا من استطاع أن يفكر أكثر مستغلاً سـذاجة الآخـر والطرق المشروعة .. واللا مشروعة ..

[تعود الضحكات الساخرة للرأس ، تنزل أمامها ستارة بيضاء تنعكس عليها صورة ظل الرأس .. تسال على الستارة من الأمام سيولاً من الدم تكاد تحجب صورة الظل ..]

هل نستطيع أن نقول أن التواريخ جميعاً تصب الآن فى نهر تاريخ واحد ، فى أفق معتم يتحكم فيه اتجاه سياسى واحد .. هل .. **[يرفـع قلمـه عـن الكتابة ، يتأمل ما حوله ، تزداد الأصوات والصور المرعبة ..]** هل هذا ما يسمونه نهاية التاريخ..؟ !

[صرخة مدوية ، تعقبها صرخات متوالية ، ثم يضـاء فضـاء خشبة المسرح بأكمله لنجد صلاح وزاهر فى معملهمـا وهمـا شابان فى العقد الثالث من العمر وآثار الكابوس بادية عليهمـا ...]

صلاح : اللهم اجعله خيراً ..

زاهر : نفس الكابوس مرة أخرى

صلاح : نعم .. آه .. صداع شديد

زاهر : كان بالكابوس هذه المرة رجلاً عجوزاً يكتب كل ما يحدث ..

صلاح : إنه يشبه أبى الشيخ ..

زاهر : نعم كنت سأقول لك ذاك .. إنه صورة من عمى الشيخ .. فقط يبدو طاعناً فى السن وكأنه عاش ملايين السنين ..

صلاح : **[كأنه يحادث أباه ..]** أبى .. أنا قلق عليك ..

[يظهر صوت الأطفال وهم يرددون بعضـاً مـن أشعار المتنبى ثم يظهر الشيخ بمكان عال وبجواره طفلان صغيران ..]

الشيخ : **[مخاطباً الطفلين]** أنا بخير يا أولادى طالما أنتم بخير ..

صلاح : ولكن يا أبى ..

الشيخ : أعرف يا صلاح .. ولكن لابد أن نستيقظ بعد

الكوابيس .. وهو ما تفعله أنت .. وزاهر

زاهر : إنه غرسك فينا يا عمى ..

الشيخ : استمرا فنحن جميعاً فى حاجة إليكم ..

طفل (١) : أبى .. أريد أن أصبح عالماً كبيراً ..

طفل (٢) : وأنا أيضاً يا عمى

الشيخ : استمرا فالرؤيا تتحدث عنكما بالخير والنور

[يختفى الشيخ والطفلان ..]

زاهر : بماذا تفكر .. ؟

صلاح : فى رؤيا أبى .. وفينا .. وفى آخر معادلاتى

زاهر : لن يضيع الله عملنا .. وما هى آخر معادلاتك..؟

صلاح : انظر .. **[يشرح له على إحدى الخرائط]** هناك أنواع من نبات الغاب تحيا على الماء المالح ، وهذا النبات من العائلة النجيلية التى ينتمى إليها الأرز والشعير والقمح .. وإذا استطعنا الكشف عن الجينات التى تجعل الغاب قادراً على تحمل الملوحة لاستطعنا أن ننقلها إلى القمح مثلاً وبهذا نستطيع استخدام مياه البحار فى الزراعة

زاهر : وهذا سينقذنا من الجفاف المحتمل فى الماء العذب

صلاح : وبالبحث فى كائنات البحر ستجد مثلاً أن سمك القرش لا يصاب بالسرطان ، فلو عرفنا ما هى المادة المسئولة عن عدم إصابة سمكة القرش بالسرطان لاستطعنا أن نعالج ملايين الحالات المصابة بهذا الداء .. هذا بالإضافة لكنوز البحر التى تشمل ..

زاهر : كفى يا صلاح لقد دوخْتنى ..

صلاح : وأنت .. ؟

زاهر : مازلت أحاول تجريبى مصادر أخرى للطاقة من موارد ومكونات الطبيعة **[يقطع كلامه صرخة مدوية لامرأة ..]**

ص.المرأة : الخراب .. الخراب .. لم يبق شيئ ليأخذوه ..

زاهر : نفس الحدوته تتكرر

صلاح : يبدو أن الليل سيطول بهذه البلاد

زاهر : اللهم اكفنا شر أنفسنا .. وشر المتربصين بنا ..

[يبدأ صوت الناى فى الظهور مع الإظلام التدريجى ..]

إنحن وأنت توقــّع

[ضاحى مصلوباً على جذع شجرة .. أهل القرية حوله يتفرجون .. أمه تركع على الأرض باكية مصْلوبة بـ ذراعى حارسين .. يدخل سعفان الكبير .. يتناول كرباجاً من أحـ د الحارسين .. يضرب به ضاحى .. بعيداً عن الجميع يجلس عازف الناى يعزف في صمت ..]

عـ ـازف : **[يعزف ويغنى]**

الناى في الخطوة موت .. والكلمة موت
والـ ـ واد دا إبنـ ى إبن مـ ـ وت
لفّوا الدواير .. إرسموا .. رنّة وجع
واوعـ وا فـ يـ وم يعلالكو صوت ..

ضاحى : لا لن تأخذوها .. يكفيكم ما أخذتم ..

الكبير : **[ساخراً]** أنت نفسك ملك لنا .. ولولا ذلـ ك لقتلناك

ضاحى : **[للناس]** اقتربـ وا .. افعلـ وا شـ يئاً ..هـ ل تتفرجون علينا .. اقتربوا حتى لا يجـ ئ غـ داً دوركمْ

[الكبير يرفع كرباجه .. الناس تتراجع مذعورة .. يهبط به على الأم ..]

الأم : آه .. وقّعْ يابنى ... سنموت ..

ضاحى : **[صارخاً]** كفى .. فكوا قيودى .. سأوقع على البيع **[يفكوه]**

الكبير : **[يناوله قلماً وورقـة]** لا تـنسَ أن تـذكر العنوان والتاريخ ..

[يأتى شاب يجرى ، ثم يركع أمام الرجل ..]

الشاب : سيدى

الكبير : ماذا .. ؟ تكلّم ..

الشاب : وأنا أدير طرمبتى اليوم لاستخراج بعض الماء العذب ضخّت الطرمبة سائلاً غريبـاً وعنـدما تشممته وجدته ..

الكبير : **[يرفع كرباجه]** انطق ..

الشاب : حاضر .. وجدته بترولاّ تماماّ كالذى أخرجته الطرمبة الموجودة في دار ضاحى ..

ضاحى : جبان .. حقير ..

الكبير : **[يضربه]** اخرس .. إنه نمـوذج للمـواطن

الذى يحب نفسه وبلاده

الشاب : لقد فكرت أن ...

الكبير : ماذا .. ؟ لا ..

الشاب : هل أخطأت يا سيدى ..

الكبير : نعم أخطأت .. لا تقل فكرت .. فكلما سـمعت كلمة تفكير هذه رَفَعْت كرباجى

الشاب : لقد قلت .. لقد قلت يجب أن آتى إليك مسرعاً لتتولى أمر هذا البترول وتعطينى الحصة المالية التى تراها مناسبة لى ..

الكبير : قرار سليم .. فأنت ترى .. **[للناس]** وأنتم ما يحدث لكل من تسول له نفسه الخـروج علـى النظام ..

ضاحى : ولكنك لست المسئول عن وضع أو تنفيذ النظام في بلادنا .. أنت ..

الكبير : مرة أخرى تجادل ..

المرأة : أرجوك .. أرجوكم .. اتركوه إنـه صـغير ، وحماسة الشباب تشعل فؤاده .. لا تؤاخـذوه ..

لقد مات أبيه في خدمتكم .. فلا تذيقونى مـرارة الكأس مرتين .. اتركوه لى .. سأؤدبه بنفسى ..

الكبير : وقع إذن وانصرف ..

الشاب : دعنى أوقّع أنا أولاً يا سيدى .. بارك الله فيك .. **[يوقّع]** هذا توقيعى وتنازلى عن كـل مـا أملك .. تولوا أنتم مصـيرى كمـا تـرون .. **[ينحنى ، وينصرف ..]**

الكبير : **[للمصلوب]** لم يبق إلا أنت وقع ..

ضاحى : اتركوا أمى أولاً ..

الكبير : اتركوها **[ينفّذ الحارسان ..]**

ضاحى : اذهبى يا أمى .. **[تتردد الأم فـى الـذهاب]** قلت اذهبى ..

الأم : **[وهى تخرج]** سأنتظرك بالخارج

الكبير : وقّع ..

ضاحى : لن أوقـ ... **[يهم بضرب الرجـل ، ولكـن طلقة نارية تعاجله من أحد الرجلين فيقع صريعاً ..]**

الكبير : إنه شرير ..

الأم : **[داخلة وهى تصرخ]** ابنـى ... **[تحتضـن الابن باكية ..]** لماذاً .. ! ؟

الكبير : كفّى يا امرأة .. هيا احمليه واخرجى من هنـا ..

الأم : لماذا .. ؟ ! لماذا قتلتموه .. ؟ !

الكبير : لأنه ..لأنه لم ينحنى وهو يوقّع ..

[الأم تبكى ، يتداخل مع بكائها شهقات مكتومة للنـاس بينما الكبير يدور فى المكان وسط حراسه غير مبـالٍ بمـا حدث .. إظلام تدريجى .. على صوت عازف النـاى وهـو يردد آخر مقاطع رباعيتهُ ..]

عازف النــاى يأتــى متأخــراً

[أهل القرية منتشـرون داخـل أرجـاء المنظـر المسرحى ..]

رجل (١) : يصرفون علينا أو نصرف نحن على أنفسنا ما الفرق .. ؟ !

رجل (٢) : لا فرق .. المهم أن نحصل على كـل مـا نريده ..

رجل (٣) : وهل سيظلوا يعطوننا ما نريده طوال العمر .. ؟

رجل (١) : لا تمانع أنت وسيعطوننا ما نريـده طـوال العمر ..

رجل (٣) : أشك فى هذا ..

رجل (٢) : أنت تشك فى نفسك أصلاً ..

إمرأة (١) : ادعوا معنا أن يتحقق الوعد ..

إمرأة (٢) : الوعد .. وما هو الوعد .. ؟

إمرأة (١) : الوعد الذى قاله كبيرنا .. إن أخرجت كـل

أراضينا بترولاً سنرفل فى الحرير ونتلاعـب بالماس والألماظ ..

إمرأة (٢) : **[حالمة]** الوعد .. إنها الجنة الموعودة .. ادعوا معنا

رجل (١) ، (٢) : **[داعين]** آمين ..

[يدخل الغريب ..]

الغريب : لماذا تدعون .. ؟ وما هو الوعد .. ؟

إمرأة (٢) : وما شأنك أنت به .. ؟

الغريب : **[يخرج بعض النقود]** سأعطيكم نقوداً

رجل (١) : لا نريدها .. ستهبط علينا النقود كالأمطـار عندما تخرج أراضينا البترول ..

الغريب : البترول ..

إمرأة (١) : اخرس يا رجل لقد عرف سرنا .. لم يبـق إلا أن تخبره أننا نعطى هذا البترول لكبيرنـا مقابل الصرف علينا ..

الغريب : الكبير .. تقصدون حاكم قريتكم ..

رجل (٢) : والله نحن بلهاء .. لقد عرف كل شيئ دون أن ناخذ منه النقود .. هاتها **[يأخذها]** الكبير كما قلت هو حاكم قريتنا والذى يأخذ منا كـل مواردها ويعود لنا بها وقد أصبحت ملابـس وأحذية وأطعمه فاخرة وسيارات آخر صيحة وأفلاماً .. وهواتف محمولة .. انظر **[يخرج هاتفاً محمولاً من جيبه]** من هـذا الجهـاز الصغير أستطيع أن أحدث زوجتى واعـرف منها ماذا تطبخ اليوم .. و .. **[يتوقف]** قبل أن أكمل ألن تعطينى مزيداً من النقود

الغريب : **[يناوله]** خُذْ

رجل (٢) : **[يجرى خارجـاً]** هييه .. ضحكت عليـك ولن أكمل لك

رجل (١) : **[يلحق به]** انتظر لابد أن أقتسـم معـك النقود

الغريب : ما هذا الذى يحدث .. ؟

رجل (٣) : لماذا تهتم بأمور قريتنا .. ؟ ومن أنت .. ؟

الغريب : ضيف .. سمعت عن قريتكم فجئت أبحـث فيها عن ..

رجل (٣) : عن ماذا .. ؟

الغريب : عن سوق مناسب لبعض منتجات بلادى ..

رجل (٣) : وماذا تنتجون .. ؟

الغريب : كل شيئ يخطر على بالك .. أو لا يخطر .. قل لى إذاً من هو كبيركم هذا وأين أجده .. ؟

رجل (٣) : لا أحد يعرف على وجه التحديد من هو .. ؟ يقولون أنه أمريكياً .. أو أوربياً .. وربمـا كان فى الأصل إسـترالياً .. ولكـن بعـض العجائز فى قريتنا يقولون أنـه حفيـد أحـد الرحاله الذين حطّوا بقريتنا وماتوا فيها .. أما أنا فأرجح الرأى القائل أنه ابن ساحر كبيـر كان يروع أهل القرية فى الماضى مات جميع اخوته ولم يبق إلا هو ..

[تتدخل المرأتان فى الحديث ..]

إمرأة (١) : صح هو ابن الساحر ، وهذا يفسر خضـوع شاهر العراف له ..

إمرأة (٢) : على ذكر شاهر العراف .. ألن يأتى اليـوم .. ؟

إمرأة (١) : سيأتى الآن .. إنه لا يخاف ميعاداً ..

الغريب : العراف . ؟ !

رجل (٣) : إنه رجل طيبْ يتنبأ لنا بالغيـب ويخبرنـا بطالعنا .. كان خادماً للشيخ معلـم الأطفـال وعندما قتل الشيخ صارت له مثل بركاته ..

الغريب : ومن قتل الشيخ معلم الأطفال ..

رجل (٣) : قتله ..قتله .. لا أعرف .. أرجوك أنا لم أقل لك شيئاً .. ولم آخذ منك نقوداً .. عـن إذنك ..

[يبتعد عنه ويخرج .. تسمع جلبة وضوضاء آتية مـن الخارج .. يدخل شاهر العراف وقد أصبح درويشـاً يحمـل البخور ويرتدى حول عنقه عشـرات المسـابح والشـيلان

الخضر .. أهل القرية يدخلون وراءه ويتبركون به يجلـس .. يتحلقون حوله ..]

العراف : **[يتمتم بكلمات كثيرة يظهر منهـا]** باسـم الليل والنهار .. والكلم الدوار ما بين الخيرين والأشرار .. أعرف .. أعرف ما ستسـألون عنه يا أهل قريتى الطيبين ..

إمرأة (١) : سيدنا الشيخ .. أريد أن أعرف

العراف : قلت لك أعرف .. ستسألى .. متى ستخرج أرضك بترولاً .. ؟ .. عدى على أصـابعك عشر عشرات وفى تمام المائة يوم سـتخرج أرضك بترولاً

إمرأة (١) : وإن لم تخرج .. ؟

العراف : لا .. إن لم تخرج بترولاً فأنت ظالمة لنفسك فاستغفرى وراجعينى مرة أخرى ..

[المرأة تزغرد ، تقترب أخرى ..]

إمرأة (٢) : وأنا يا سيدنا الشيخ أسَألْ عن ..

العراف : إبنتك .. لم يمسسها شيطان ولا بشر .. فقط دمها هربان .. قولى لزوجهـا ينتظـر أيـام

أخرى وستكون بخير ..

إمرأة (٢) : ربنا يبارك فيك

رجل (١) : البترول ..

العراف : خمس خمسات وهدية مشروطة للكبير

رجل (١) : كل ما يطلب .. يأمُرْ وأنفّذْ ..

رجل (٢) : وأنا يا سيدنا ..

العراف : سبع سبعات ..

رجل (٢) : وأصير غنياً .. **[كالحـالم]** خـذو بيـدى أجلسونى في مكان أحلم فيـه برخـاء اليـوم الخمسين ..

[تتكرر العملية مع الآخـرين .. يقتـرب الغريب من العراف ..]

الغريب : وأنا يا شيخ ..

العراف : تسع تسعـ ... **[ينظر إليه فيتوقف]** أنت .. نُبئتَ بقدومك .. سمعت عنـك .. كبيرنـا ينتظرك .. هل ..

الغريب : أعرف الطريق ..

رجل (٢) : **[للعراف]** ولكن يا شيخنا إذا كانت النبوءه

...

العراف : **[مقاطعاً]** نكمل غداً أو بعد غـد .. هـذا ضيفنا ويجب أن يُكرم .. ولكـن يمكننـى أن أقول لك ....

[يظهر صوت ترديد الأطفال لبعض التـرانيم الأندلسية ، ثم يظهرون والشيخ بجوارهم في عمق الفضـاء المسـرحى .. تتغيـر حالـة العراف ويتحول للجنون والهذيان ..]

العراف : لا .. اقتلوا هذا الصوت .. اقتلوا هذا الشيخ .. إنه كالشّبح يطاردنى .. يخيفنى .. اقتلوه .. لا أستطيع أن أقرأ غيـبكم فـي وجـوده .. **[يهذى بكلمات غير مفهومة ..]**

رجل (٢) : يا للحظ .. ! لقد حضرته نوبة الهـذيان .. كان سيقول لى شيئاً ..

إمرأة (١) : عوضك على الله .. انتظره غداً أو بعد غد

العراف : **[ما زال يهذى]** انقذونى .. لا .. **[يمـد الشيخ يديه من مكانه وكأنه يخنق العراف ..**

] لا .. لا تخنقنى .. لم أخن العهد .. العهد .. هم الذين خانوه .. لا .. أنا خنته .. ابعد يدك عنى .. هم الذين قتلوك .. لا .. أنـا الـذى قتلتك لا .. لا أعرف .. أرجوك إبعد البخور عنى .. الولاية .. العهد .. أنا مـن يسـتحق الولاية .. لا أنا من لا يستحق الولاية ..أنـا أكذب .. لا أنت الذى تكذب .. أرجوك إبعـد عنى .. سأموت .. سأموت ..

[يظل العراف فى هذيانه ..]

الغريب : ماذا بك .. **[لا يجيب ، ثم لرجل (١)]** هل تأتى له هذه الحالة كثيراً ..

رجل (١) : نعم .. هو الآن في حضرة الجان

رجل (٢) : لابد أنهم يخبرونه عن الطـالع وإلا فكيـف يعرف قراءته لنا ..

إمرأة (١) : هل تتفرجوا عليه .. هيا احملوه لداره ..

إمرأة (٢) : لقد سمعت أن من يسارع بحمله وقـت أن تأتيه النوبة يصاب بكرامات كثيرة ..

رجل (١) : ياه .. سأحمله أنا ..

رجل (٢) : وأنا ..

[يسارع الجميع في حمله ، وعندما يحملونه يسقط من بين أيديهم ...]

رجل (١) : ياه .. ماذا به .. ؟ إنه لا يتحرك ..

إمرأة (١) : لا يتحرك .. !

إمرأة (٢) : لقد مات .. مات شاهر العراف

[صرخات متوالية للجميع]

رجل (٣) : **[داخلاً]** ماذا .. ؟

إمرأة (٢) : **مات شيخنا شاهر العراف ..**

[الجميع فى حالة ذعر شديدة .. الغريب مندهشاً ..]

رجل (٣) : مات ..

إمرأة (١) : ماتت بركة قريتنا ..

إمرأة (٢) : إنه الخراب قادم ..

رجل (١) : سيحل على هذه القرية الظالمة

رجل (٢) : ماذا حدث لكى يموت .. لم يفعل شيئاً .. ! من سيعرف طالعنا بعد اليوم .. ؟

رجل (٣) : إذا كان شاهر العراف قادراً علـى التنبـؤ بالطالع وقراءة الغيب .. لماذا لم يستطع ذلك مع نفسه .. ؟

رجل (٢) : السؤال فتنة كما كان يقول شيخنا العـراف وهاأنت تقع في شرك السؤال .. !

رجل (١) : ليست هذه أول مرة .. إنك تعارض العراف كثيراً ولذا فأنت ممنوع من بركته ..

إمرأة (١) : كف أسئلتك وأذاك عنا

إمرأة (٢) : وأدعُ الله أن يغفر لك .. ولنا ..

[يستمر الأداء " مايم " والجميع يهاجمون رجـل (٣) ، يظهر صوت الناى ، ثم يدخل عازف الناى ليفاجأ بما حدث .. يتلفت حوله فلا يجد غير الغريب يقف منفرداً .. يقتـرب منه ..]

عازف الناى : ماذا حدث .. ؟ من فضلك صف لـى فقـد جئت متأخراً ..

[يستعد عازف الناى للكتابه ..]

الغريب : من أنت ولماذا تسألنى .. ؟

عازف الناى : أنا لا أسْأَلْ يا بنى .. أنا الذى أسَألْ .. هيـا صف لى ما حدث ..

الغريب : لن أصف شيئاً .. ألم تجئ متأخراً .. ؟

عازف الناى : بلا ..

الغريب : تحمل إذا نتيجة تأخرك ..

[يخرج ..]

عازف الناى : لا يهم **[يكتب وهو يتأمل المشهد]** لقد قتل أهل القرية العراف كما قتلـوا الشـيخ معلّـم الأطفـال قـبلاً .. إنهـم ظـالمون .. لا .. **[يشطب الجملة الأخيرة]** لا ينبغى أن أعطى أحكاماً ويكفى أن أذكر أن أفعال القتل متكررة داخل القرية وغامضة أيضاً **[يـأتي الشـيخ والأطفال مـن عمـق الفضـاء المسـرحى ليتوزعوا المنطقة الأمامية لخشبة المسـرح حول أهل القرية والعراف ..]** آه .. ومازالت

روح الشيخ تهيمن على القرية بكل ما فيها ...

[إظلام تـدريجى .. مـع ظهـور صـوت الناى ..]

رد كلامـــك ودعنـــا نحيـــا ..

[صوت ناى يتخلله ترديد الأطفال لبعض أشـعار أبـى القاسم الشابى .. ثم تتابع بؤره ضـوئية دخـول وحركـة عازف النای ..]

عازف النای : [يغنى]

- قمر الشرف منداس ولاعدش
فـ الناس ناس
عسـ ـكر وويـ ـل ونـهار
وليـل حراس
شـاب الطريـق والحـرف
طير منصـاب
بكـره الجنـ ـون هايزيـد
ويفيض بنـا الكراس

[يجلس في مكانه .. صوت الناى مستمر بالرغم من توقفه عن العزف .. يعود صوت ترديد الأطفال والذي يقطعه أحدهم ..]

الطفل : سيدنا الشيخ ..

الشيخ : نعم ..

الطفل : هل سيدخل الكذابون النار ؟ .

الشيخ : نعم يا ولدى

الطفل : إذا سيدخل كبير قريتنا النار

الشيخ : لماذا .. ؟

الطفل : لأنه كذب على وقال لى أن أبى مسافر وقد قالت لى أمى أنه قتل أبى ..

الشيخ : لا تفكر فى هذا يا ولدى .. والدك سيعود .. عود .. ولكن الآن اهتم بدروسك جيداً ..

[يعود الأطفال للترديد ، ثم تكشف بؤرة إضـاءة فـي مقدمه الفضاء المسرحى عن الشيخ مربوطـاً إلـي جـذع شجره بينما يقف حارسان بجواره .. وفى الاتجاه المقابـل نجد ضاحى ملقى على الأرض ملطخـاً بـدماءه وبجـواره تجلس أمه تقاوم البكاء .. يـدخل سـعفان الكبيـر ومعـه الغريب ..]

الكبير : مرحباً بك دوماً .. تأكد من أن منزلتك عندنا نفس منزلة أبيك وجدك إلى آخر العائلة الكريمة .. وكلّى ثقة من أنك ستحب قريتنا كما نحبها

الغريب : شكراً .. شكراً .. **[يتوقف أمام الشيخ ..]** ما هذا ألم يمت الشيخ فى المعتقل قبلاً .. ؟

الكبير : بلا .. حوكم ومات منذ ما يزيد على عشرين عاماً ..

الغريب : كيف وهو أمامى الآن .. ؟

الكبير : هذا ليس الشيخ .. وإنما هو رجلُ شبيهُ به .. وهذه المحاكمة طقساً تعود حراسى على تكراره للتسلية .. لا .. لا تشغل بالك به **[فى العمق ومن خلال شاشة خيال ظل تَظهر يد كبيره تشير بالبدء ..]** ستبدأ المحاكمة الآن .. هيا .. سنشاهدها من أعلى .. **[يخرجان]**

حارس (١) : إذاً لنبدأ الآن .. **[يفرد أوراقاً فى يده]** التهمة الأولى للشيخ معلّم الأطفال هى

تحريض الأطفال على الفكر فيما لا طاقة لهم به وشغلهم بقضايا أكبر من سنهم ..

الشيخ : الأمل فيهم إذ لا أمل فى غيرهم ..

حارس (١) : **[لحارس (٢)]** سجل إنه يعترف **[يسجل حارس (٢)]** التهمة الثانية : يقول أنه يتنبأ بزوال دول الظلم ولأنه يعيش فى قريتنا .. إذاً فهو يقصدها ..

الشيخ : لا يعلم الغيب إلا الله .. ولكن المقدمات تؤدى للنتائج ..

حارس (١) : مقدمات .. نتائج ..

حارس (٢) : أنا أسجل ..

حارس (١) : الثالثة : يحدد طرقاً للإصلاح ويولى العمل أهميه تفوق الشعائر الدينية .. ويردد أنه إذا لم تنهض بلادنا على تكنولوجيا خاصة بها سَتُداس بالجزم

حارس (٢) : الجزم .. ؟ !

حارس (١) : سجل إنه يسبنا ..

حارس (١) : التهمة الرابعة ....

[يتحول الأداء لمايم ، وننتقل إلى ضاحى والأم ..]

الأم : هل تعرف .. لقد حلمت بالأمس أنك ستموت اليوم .. يوم ولدت مات أبوك .. قالوا ابن موت ولكنى رأيتك فى أحلامى تقهر الموت .. رأيتك وأنت تنبش مقابر القرية وتحطم شواهدها ثم تخرج موتاها تكلمهم ويكلمونك .. تحبهم ويحبونك ثم تأخذهم جماعات وبيد كل واحد منهم شعلة من نار .. تجرى أمامهم وهم ورائك .. وسواد الليل يتحول إلى نهار .. كانت النيران تلتهم كل شيئ .. الشوارع .. البيوت .. الحوائط .. الأسطح .. الأنهار .. المزارع .. الجبال ، وكانت أجساد الناس تنسال وتتفتت بين لهب النيران لذرات صغيرة تضيع وتتلاشى .. وأنا

أصرخ .. النيران تقترب منى .. .. أبعدها عنى يا ضاحى .. أبعد النيران .. أبعدها **[صارخه]** لا .. **[فترة صمت ..]** النيران .. النيران تمر **[تضحك بجنون]** وأنا لا أموت . والأموات والمشاعل يذوبون .. يتحولون لأطفال صغيرة يبنون مكان البيوت بيوتاً جديدة .. كنت أنادى عليهم .. كانوا يبتسمون ولا يردون .. كانوا يرسمون مكان الشوارع شوارع جديدة ، ويزرعون الأنهار بين البيوت .. كانت لهم أياد سحرية تحول كل شيئ إلى صورة بهية من صور الجنة .. وكانت سلمى تبتسم لى من بعيد وتأخذنى من يدى .. كنت أطير وأسابق معها أسراب العصافير وأسراب الأطفال التى نبتت لها أجنحة .. للطيران طعم ورائحة ، ونشوى غريبة لابد وأنها الجنة .. ولا أعرف لماذا شعرت فى هذه اللحظة أننى أحلم وأننى أتمسك بالحلم حتى لا أصحو .. وإذا بثعبان

ضخم له ما لا طاقة لى بعده من الرءوس يفتح أفواهه جميعاً ويُصدر فحيحاً غريباً ومهولاً .. وكنت أصرخ أكثر .. لا ...كنت فى هذه اللحظة فى كامل إدراكى أنى أحلم ولكننى لا أستطيع أن أستيقظ .. ولم ينقذنى سوى صرخاتك وأنت نائم بجوارى ، لقد عدت طفلاً صغيراً ليلة أمس تحتاج إلى حضنى .. لقد ضممتك لصدرى حتى إنك صحوت وقلت لى :

[يستيقظ ضاحى ...]

ضاحى : يا أمى لقد كبرت .. أمازلت ترييننى طفلاً صغيراً فى يقظتك وفى أحلامك ..

الأم : مهما كبرت فأنت فى عينى طفلاً مازال يحبو ويحتاج رضاعة صدرى ..

[حركة إضاءة متغيرة ، ثم تظهر سلمى وهى ترتدى زى العرس الأبيض وكأن الريح إنشقت عنها ..]

ضاحى : سلمى .. **[يبدأ فى التحرك ، ومازالت آثار الدماء بادية على صدره ..]** انظرى .. أمى لا تستطيع أن تتصور أنى كبرت .. وأننى سأتزوجك اليوم .

سلمى : هكذا دوماً الأمهات .. ولكن ما هذه الدماء على صدرك .. ؟

ضاحى : لا أعرف بالضبط .. كل يوم أرى دماءً جديدة على صدرى وكأنها تنبت منى ..

الأم : أو ربما من عفاريت الحلم .. فحاذر منهم ..

ضاحى : ربما .. هيا الآن يا سلمى لنجهز عُرسَنا .. لم يبق سوى خطوات على الفرح ..

سلمى : كيف نتزوج ونحن لا نملك داراً .. !

ضاحى : دار أمى ..

الأم : أخذوها ..

ضاحى : ودارى أنا ..

الأم : أخذوها .. ولم يبق لنا شيئ

ضاحى : من الذى يأخذ ديارنا .. ؟ ! أمى ..

الأم : أنت كبرت الآن ..

ضاحى : ويجب أن أجيب بنفسى على السؤال ..

[حركة إضاءة متغيرة ، نعود لمشهد الشيخ وقد التـف حوله مجموعة من أهل القرية وطفلان]

حارس (١) : وبناءً على ما تقدم قررنا اعتقال الشيخ لأنّه يخرّب عقول الأطفال ويضحك على الذقون ، يقلب الحق باطلاً والباطل حقاً .. الشيخ إن بقى فيكم سيفسدكم .. الشيخ فتنة فاتقوها واتقوه ..

الشيخ : **[ساخراً]** إنّى لأعجب كيف استطعت أن ترص هذه الكلمات بجوار بعضها لتكون جملاً تحاول بها التأثير على الناس .. ومن عجبى أيضاً أنك تكلف نفسك عبء وجود أسبابٍ لاعتقالى .. تستطيع أن تفعل ولن يتحرك من أهل القرية سوى واحدٍ أو اثنين .. وهؤلاء الأطفال ، وهم جميعاً مقدور عليهم ..

[يضع الحارسان الأساور الحديدية فى يد الشيخ]

طفل (١) : أبى .. لماذا يضع هذا الرجل الحديد فى يديك ..

الشيخ : أمر الله يا بنى .. **[يهم بالذهاب]**

طفل (٢) : نريد أن نجئ معك ..

الشيخ : لا .. انتظروا هنا .. إن كان أمر الله قد حان فأنا مستعد له .. **[لحارس (١)]** ولكن أمهلنى يا بنى ثوان **[يتلفّت الشيخ حوله]** أين شاهر العراف .. ؟ **[يتقدم العراف من بين الناس]** اسمعنى يا عراف .. لقد عشت معى ما يزيد على عشر سنوات نؤدب الأطفال ونعلمهم ما تيسر لنا من العلوم .. كنت لى ولهم خير رفيق فاخلفنى وحافظ على الأمانة .. الأطفال أمانة .. والعلم الذى فى صدرك أمانة فأخرجه للناس ولا تبخل به فهم فى أحوج ما يكون إليه .. الأمانة يا عراف .. ولن أوصيك على ابنى صلاح وابن أخى زاهر .. **[يمضى به الحارسان ومازال**

يردد جملته الأخيرة .. الناس تطأطئ رءوسها وتمضى فى حسرة .. تخفت الإضاءة وتتركز بؤره ضوئية على عراف وهو يبتسم ابتسامات غريبة ثم ينفجر ضاحكاً .. إظلام على عراف والطفلان .. إضاءة على الأم وضاحى وسلمى ..]

ضاحى : وماذا أيضاً يا أمى .. ؟

الأم : قتلوا أبيك عندما قال لهم لا ..

ضاحى : وماذا أيضاً .. ؟

الأم : أخذوا بترولنا .. وتولوا الإنفاق علينا ومن رفض قُتلْ ..

ضاحى : وماذا .. ؟

الأم : قتلوا العروس فى ليلة زفافها ..

ضاحى : سلمى .. ؟

الأم : سلمى وغير سلمى ..

ضاحى : وماذا .. ؟

الأم : قتلوك أنت عندما قلت لا .. ! وداسونى بأحذيتهم واغتصبوا عروسك ..

ضاحى : **[صارخاً]** الثأر ..

سلمى : ضاحى رُد لى ثوب عرسى الأبيض **[بقعة إضاءة حمراء على فستان عرْسِها]**

ضاحى : الثأر

سلمى : نظّف مَنْى الغرباء من على جسدى

ضاحى : الثأر

سلمى : أطفئ حرائق غلّى وشهوتى

ضاحى : الثأر

الأم : إن قلت لا سأموت

سلمى : حررنى فأنا ملطخة بالعار .. مغروسة فى الوحل مهانة .. أنفض غبار القهر عن عمرى .. رد لى الحياة والبراءة ..

ضاحى الثأر

[يدور ضاحى حول نفسه دورات جنونية وهو يردد كلمة " الثأر " .. يدخل طابور طويل من رجال ونساء القرية يحنون جميعاً رءوسهم ..]

رجل (١) : يا عم اتركنا وحالنا فنحن لا طاقة لنا بهم ..

ضاحى : الثأر

رجل (٢) : نحن نحيا .. نأكل ونشرب ونتزوج فماذا نريد غير هذا .. ؟ !

رجل (٣) : نريد الحياة وهم يحجبونها عنا .. نقاتلهم حتى الموت ..

ضاحى : الثأر

إمرأة (١) : وهل سيتركوننا نقتل أحداً منهم .. اتركنى بالله عليك فبيننا من يخبرهم بكل شيئ ..

ضاحى : الثأر

رجل (١) : والله لقد راودتنى نفسى عشرات المرات أن أكون جاسوساً لهم حتى أجنّبْ نفسى الخوف من أن يشى بى أحد ظلماً لديهم .. ولقد ضبطت نفسى فى الحلم أفعل ذاك أكثر من مرة ..

ضاحى : الأغراب ..

إمرأة (٢) : يا عم أغراب أغراب .. فجميعنا أغراب على وش الدنيا .. جئنا وسنذهب كآلاف غيرنا

رجل (٢) : أرجوك .. لا تردد أيه كلمة فى وجهى .. رد كلامك على نفسك ودعنا نحيا ..

[يخرج الناس .. يدخل الطفلان الصغيران .. يقتربان من ضاحى]

طفل (١) : اسمى صلاح وأريد أن أكون معك ..

طفل (٢) : وأنا اسمى زاهر وأريد أيضاً أن أكون معك ..

[يركع ضاحى أمامهما حانياً رأسه .. الأم وسلمى فـى حالة شرود كامل .. مع الإظلام التدريجى ينطلق صوت ناى مختلطاً ببكاء ضاحى ..]

كيـف نكـون حقـراء .. !؟

[الفضاء المسرحى شـبه مظلـم .. يـدخل عازف الناى عازفاً بعض أنغامـه .. يـدونْ بعض الأشياء .. تضاء بؤره علـى معمـل صلاح وزاهر ..]

صلاح : **[صارخاً]** وجدتها ..

زاهر : لا أصدق .. ! هل تحقّق الحلم ..

صلاح : ياه .. أخشى أن يكون هذا حلمـاً .. كيـف ننجح وفى ساعة واحدة فى إنقاذ هذا العـالم ومد أجله لقرون أخرى ..

زاهر : انظر **[يشرح له مشيراً لبعض الأدوات ..]** التراب .. الهواء .. المـاء .. الشـمس .. لحاء الأشجار .. و .. و.. عناصـر أخـرى تزخر بها كيمياء الطبيعة استطعت من خلالها أن أحصل على أكثر من مصدر جديد للطاقة .. إنها العظمة والشهرة ..

صلاح : صدق أبى عندما قال لنا : ما أحلى الشهرة التى تأتى عن طريق العظمة فهى خير مـن العظمة التى تأتى عن طريق الشهرة ..

زاهر : جازاهم الله .. طاردوه .. عذبوه .. وقتلوه ..

صلاح : أبى لم يمت يا زاهر .. انزل إلى الشوارع والميادين .. أطرق أبواب القرية ستجده ناصحاً ومؤدباً ومعلماً ..

إننى أراه الآن يربت على كتفى ويهنئنى بإكتشافى ..

[تظهر بؤرة ضوئية فى العمق وبها الشيخ يبتسم ..]

الشيخ : راضٍ عنكما كما أنا راض عن نفسـى .. استمرا وستجدانى دائماً عبر الخاطر

صلاح : والله إننى أراه ..

زاهر : أصدق .. فأنا أيضاً أراه .. يا للفرحـه ..

والآن هيا بنا بسـرعة .. لابـد أن نسـجل اختراعاتنا فى مكتب بـراءات الإختـراع لا تنس أوراق الاخترعات الخضراء ..

[إظلام .. ثم إضاءة تدريجية على مجموعة من أهـل القرية بالقرب من مقدمة خشبة المسرح ..]

رجل (١) : أنا لا أمزح .. لقد شاهدته ، كـان وجهـه مشرقاً كشمس الصباح .

رجل (٢) : أنا لا أصدق أن يعود الموتى

رجل (١) : شاهر العراف رجل صالح وليس ميتاً عادياً ..

إمرأة (١) : لقد قال لزوجى أنّنا سننجب ولداً ..وقد كان ..

إمرأة (٢) : وأنا .. ألم يبشرنى أن طرمبتنـا سـتخرج بترولاً ..

رجل (١) : ألم يقل لكم متى سيأتى .. ؟

رجل (٢) : سيأتى الآن .. لقد عرفت ذلك مـن كبيـر

قريتنا ..

رجل (٣) : وكيف عرف كبير القرية أخباره .. ؟

إمرأة (١) : هذا لا يهم .. سننتظره ولو قضينا أياماً هنا ..

رجل (٢) : كلّنا يريد التبرك به

إمرأة (٢) : ونريد أيضاً البشارة ..

[إضاءة متغيرة .. مكتب براءة الاختراع .. صف طويل من المخترعين أمام مسجل الاختراعات .. كل مخترع يحمل أوراق إختراعه .. صلاح وزاهر فى منتصف الصف يحملان أوراق إختراعاتهم الخضراء .. المسـجل يـدون أسـماء المخترعين ويأخذ الأوراق منهم ويلقيها فوق كومـة مـن الأوراق بجانبه دون تمييز والمخترعون فى دهشة كبيـرة لما يحدث ..]

مخترع (١) : ستضيع أوراقى هكـذا .. لقـد اختلطـت بالأوراق الأخرى ..

المسجل : اذهب ليس لك صالح بها ..

مخترع (١) : كيف إنها مجهودى .. إنها ..

المسجل : أعرف .. ولا داعى لأن تعيد على مثل هذه الكلمات .. مجهودى .. سهر الليالى .. فرحة الاكتشـاف .. العلـم .. الصـالح العـام .. صدعتم رءوسنا بهذا .. إننـى اسـمع هـذه الكلمات كـل يـوم .. وأنـتم لا ترحمـون **[صارخاً]** نحن بشر مثلكم ولنا طاقة .. لماذا تنظرون إلى وكأننى خادمُ فى بيوتكم .. أنـا موظّف حكومة .. أتدرون ما معنى موظـف الحكومة ؟ !

مخترع (١) : نعم .. والله أدرى ..

المسجل : وتدرى أيضاً أننى أعمل ثمـانى سـاعات يومياً بلا توقف فى استقبال إختراعاتكمْ هـذه .. أنا أعمل ولست عاطلاً مثلكم ..

مخترع (١) : عاطلاً .. !

مخترع (٢) : عاطلاً .. !

مخترع (٣) : عاطلاً .. !

[تسرى الكلمة بين الجميع كالنار ..]

صلاح : يا جماعة لا تؤاخذوه .. إنه لا يقصد أيـه إساءه هذه لغته .. وهذا تفكيره ..

المسجل : كل يوم يأتى إلينا مجموعـة مـن البلهـاء ويقولون على أنفسـهم مخترعـون .. هـل الاختراعات لعبة .؟ ! وماذا سـيفعل نيـوتن وأفلاطون .. و .. هل سيلعبون الاستغماية .. ؟ !

مخترع (٢) : نيوتن وأفلاطون ..

مخترع (٣) : **[ساخراً]** قل له أن نيوتن مات من زمـن .. وأن أفلاطون فيلسوفاً وليس عالماً ..

مخترع (٢) : لا يا عم .. قل له أنت .. ألا تـرَ الشـرر يتطاير من عينيه ..

مخترع (٤) : **[صارخاً]** خلصونا .. سـأموت قبـل أن أسجل اختراعى ..

[يناول مخترع (٢) ، (٣) أوراقهم للمسجل

فى هدوء]

مخترع (٢) : الحمد لله أن عندى نسخة أخرى مـن هـذه الأوراق .. وإلا لفقدت سر اختراعى تمامـاً

[يخرجان]

مخترع (٣) : وأنا عوضى على الله .. سأكتبها من جديد

مخترع (١) : **[للمسـجل]** لـو سـمحت أريـد أوراق اختراعى لا أريد أن أسجله ..

المسجل : نعم .. لا تريد أن تسجله .. لقـد سـجلته وانتهى الأمر يا روح أمك ..

مخترع (١) : تأدب ولا تنادينى بأمى من فضلك .. أنا لا أجيد التعامل بمثل هذه الألفاظ ..

المسجل : لا تجيد .. انصرف .. ولـو أزدت كلمـة واحدة ستسمعْ مالا تحب ولا ترضى ..

مخترع (١) : فقط .. أريد أوراقى ..

المسجل : أبله .. حمار .. مدعى .. هذا الشكل الذى تبدو به يليق بمهرج وليس بعالم .. فالعمـل

الذى تصلح له هو مربى كـلاب أو حامـل حقائب فى محطة للسكة الحديد

مخترع (١) : **[صارخاً]** أنا ... أنا ..

المسجل : إخرس .. صوتك هنا لا يعلو على صوتى **[ينادى]** حامد .. حمدان .. **[يدخل رجلان لهما ملامح غريبة**

وقوة بدنية واضحة] خذوه علمـوه كيـف يتعامل مع موظّف حكومة مهم مثلـى أثنـاء تأدية عمله ..

مخترع (١) : اتركونى .. أرجوكم .. سأنصرف .. أنا لا أريد أوراق اختراعى .. **[يحملـه الـرجلان ويخرجان .. تسمع صرخة قوية ثـم يـدوى صوت عدة طلقات نارية ..]**

المسجل : هل لابد أن أظهـر العـين الحمـراء .. ؟ **[يقف ويصدر كحة قوية .. ثم يتفقد بقيـة المختـرعين]** تخترعـون .. وتـأتون باختراعاتكم لتزهقوا أرواحنا .. يا حقراء ...

مخترع (٤) : **[لمخترع (٥)]** دعه وشانه .. لابد أنهـا حالة هيستيرية تنتابه .. وستمر ..

مخترع (٥) : يبدو أنه يتميز بمركب نقص ..

المسجل : اختراعات **[يأتى بحركات غريبـة]** أحدكم يأتى بخشبة طويلة ويقول أن هذه يمكـن أن تطبخ وآخر يقول أنـه اسـتطاع أن يحـول التراب لذهب والمصيبة الكبرى أن يـداهمنى أحدكم فى بيتى وفى حجرة نومى ويقول لـى لقد جئت لك عبر آلة الزمن التى اخترعتهـا لأبرهن لك على صدقى .. لقد جعلت الخضة إمرأتى الحامل تلد ابنى وهو مازال ابن سـتة شهور .. والله أخشى أن يطالبنى الولد بعد أن يكبر بتعويض عن هذه الثلاثة أشهر الباقية .. يا حشرات البشرية .. **[يعدل من وقوفهم ...]** قفوا صفاً واحداً .. مخترعين .. صـفا .. انتباه .. مخترعين للأمـام مـدوا الـذراعين **[يتأمل أصـابعهم ويضـربها ..]** قصـوا أظافركم وكفاكم أوساخاً .. صفا .. انتبـاه ..

شمال .. يمين .. نفذو يا حقراء ..

[إظلام تدريجى ، ثم إضاءة على أهل القرية ومعهم العراف ..]

العراف : وبعد أن مت وانتهيت يشاء السميع العليم أن يحيينى مرة أخرى .. كانت جنازتى مهيبـة تجمع فيها أهالى قريتنا كلّهم وأهالى القـرى الأخرى أيضاً .. وعندما فتحوا بـاب القبـر تناول التربى حجراً كبيراً وهشّم بـه عظـام الموتى ثم أنامنى وسند رأسى بحجر الطـوب .. وعندما فرغ من جميع شئون الدفن خـرج وحاول أن يغلق باب المدفن بالمفتاح فناديـت عليه وطلبت منه أن يعطينى المفتـاح ولمـا سألنى عن السبب قلت له إننى سأصحو مـن موتى بعد قليل فدعا لى بالتوفيق وانصرف .. ثم قمت وفتحت الباب ولبسـت حلتـى هـذه الجديدة **[يشير لملابسه]** وجئت على الفور .. هذه هى حكايتى ..

رجل (١) : سبحان الله

العراف : أى نعم .. سبحان الله ..

إمرأة (١) : لابد وانك عرفت الكثير عـن دنيانـا فـى رحلتك هذه .. ؟

العراف : وأكثر من الكثير .. حى ..

رجل (٢) : التجلى يخترق بك الحجب

العراف : والشفافية أيضاً .. حى ..

إمرأة (٢) : قل لى يا سيدنا كيف ستصير الأمور فـى قريتنا هذه الأيام .. ؟

العراف : الأمور فى ميزان العدل .. والعدل صفة من صفات الله يسبغها على عباده الصالحين ..

رجل (٣) : لا نفهم يا سيدنا ..

العراف : كبير قريتنا ..

رجل (٢) : ماذا به .. ؟

العراف : وضيفه هذا الغريب الذى تخافون منه .

رجل (١) : ما بهما .. ؟

العراف : وأصـحابهم وحواريـوهم مـن الحـراس والمريدين

رجل (٢) : ماذا عنهم جميعاً .. ؟

العراف : لقد تحدث الطالع عنهم بما فيه الخير لكـم ولقريتكم ..

رجل (٣) : هل هذا معقول .. ؟ !

العراف : السؤال يفتح ثغرة للشيطان .. وأنتم مؤمنون ..

رجل (٣) : ولكن هذا الكلام يناقض كلام الشيخ معلـم الأطفال ..

[يرتعـد العـراف لمجـرد ذكـر الاسـم ويصرخ ..]

العراف : أرجوكم .. لا تذكروا اسـم الشـيخ معلـم الأطفال أمامى .. لقد عشت فى خدمته قبل أن يموت عشر سنوات ورأيت فيها ما رأيت ..

رجل (٣) : وماذا رأيت ! ؟ لقد كان رجلاً صالحاً ..

العراف : إن الله حليم ستار ولا تجادل ..

رجل (٢) : نريد أن نفهم !!

العراف : بوجودى بينكم اصطفاكم الله .. هل تعرفون يا أصحاب النوايا الحسنه ماذا يعد لكم تلامذة الشيخ وأولاده .. ؟

رجل (٣) : صـلاح وزاهـر ؟ .. إنهمـا لا يبرحـان منزلهما قط إلا ليأتيا بالطعام ..

العراف : لقد اخترعا آلة رهيبة تشبه أمنا الغولة التى كنا نسمع عنها فى الحواديت .. هـذه الآلـة تفرم كل من تراه وذلك بعد أن تعذبه بخلـع أظافره ورموشه وشعر رأسه . وقد أفضـى لى بسرهما كبير قريتنا وضيفه .. إنهما يخافا عليكم أفلا تعقلون .. ؟ ! هل تتركون صلاح وزاهر يعبثان بكم كما عبث أبوهم الشيخ قبلاً .. ؟ اثأروا لأنفسكم ولا تدفسون رءوسكم فى الطين .. تقدموا نحو الخلاص منهما تقـدموا ..

[تخفت الإضاءة .. بؤر ضوئية على كل واحد من أهل القرية وهو يدور حول نفسه فى ذهول .. والعراف يـدور بينهم بمبخره وكأنه يوجه فكرهم الوجهه التى يريدها ..]

رجل (١) : الشيخ معلّم الأطفال ؟ ! هذا لا يصح ..

رجل (٢) : نحن نحب صلاح .. وزاهر .. ولكن ..

إمرأة (١) : أنا أصدق العراف .. لقد قال لزوجى ..

رجل (٣) : أشعر أن اليوم هو آخر أيام الدنيا ..

إمرأة (٢) : تصرفوا بأى شكل .. نريد أن نعيش ..

رجل (١) : نعم .. نريد أن نعيش ..

[تخفت الإضاءة تدريجيا مع تصاعد صـوت موسيقى الناى ..]

جبـــال الثلـــج

[بؤرة صغيرة حمراء على طبق الماء ونقـاط المـاء المتتالية السقوط عليه من أعلى .. صوت نهجان .. نعيـق بوم .. فرخ حمام أبيض يحط على الطّبق ، وقبل أن يشرب يلتهمه ثعبان ضخم بعدة رءوس ويختفى بسرعه .. ثم يعود ليرميه بجوار الطبق وفى طريق المسير إليه يـدخل رجـلٌ آخر يدوس فى طريقه لطبق الماء جثّة صاحبه .. وقبل أن يصل للطبق يجرى له نفس ما جرى لصـاحبه .. يتكـون طريق طويل من الجثث ، والقاصد للطبق لابـد وأن يســير فوقها .. صرخة لسلمى .. ثم تظهر داخل بؤرة أخرى فـى العمق وحولها مجموعه من الأشـباح يتخـاطفون تمزيـق ثيابها وهى تصرخ .. صلاح يقف على مقربة منهم يمد يده ولا يستطيع الوصول إليها ..]

صلاح : سلمى ..

سلمى : صلاح .. تحرك يا صلاح ..

صلاح : لا أستطيع .. أشـعر بخمـول غريـب ..

أعضائى لا تستجيب لى ..

[تزداد صرخات سلمى .. تصبح شبه عارية .. تضـاء بؤرة بالقرب من حافة مقدمة المسرح .. تسـقط بـداخلها عملات ذهبية ، يظهر صوت ضخم مقهقهاً ومهيمنـاً علـى فضاء المسرح ..]

الصوت : هذا ثمن قشرتها الخارجية .. أكملوا ..

[تهجم مجموعة الأشباح على سلمى .. صرخاتها أنيناً مكتوماً .. تنفجر بؤره حمراء فى أعلـى مكـان بالفضـاء المسرحى حيث نجد بداخلها الكبير والغريب وهمـا يلعبـان الشطرنج ..]

الكبير : آه .. إنها ورطة كبيرة ..

الغريب : لا مفر من التضحيه بكل القطع فى مقابـل أن يبقى الملك ..

الكبير : وأنا لا أمانع .. المهم أن يبقى ..

[إظلام ، يعود الصوت مرة أخرى مخاطباً الأشباح ..]

الصوت : لم يبق إلا العِرْضْ ..

صلاح : آه .. أطرافى لا تتحـرك .. الصـداع .. الاكتشاف .. الموت .

الصوت : **[ساخراً]** والعِرْضْ لو تعلمون .. عظيم ..

[يهجم الأشباح على سلمى مرة أخـرى فـى محاولـة لإغتصابها .. وبعد لحظـات يصـرخون صـرخة النصـر ويشيرون بعلامة النصر " v " للعملات الذهبية المتسـاقطة ..]

سلمى : آه .. صلاح

[صلاح يهتز للأمام وللخاف وكأنه يقف علـى قـدمين زنبركيين وكأنه تحول إلى تمثال تتصـاعد منـه أصـوات طرقات نحاسية ، تعلو رويداً .. رويداً لتشكّلْ انفجاراً صوتياً .. ثم إظلام فجائى ، تتبعه إضاءة بيضاء على معمل صلاح وزاهر وهما يصحوان من نومهما مذعورين ..]

صلاح : سلمى .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

زاهر : ماذا يا صلاح .. ؟

صلاح : لا شيئ .. لا شيئ يا زاهر .. ألـم تحلـم

بكابوسٍ ليلة أمس .. ؟

زاهر : لا ..

صلاح : ألم تكن تشاركنى أحلامى .. ؟

زاهر : يبدوا أنّهمْ فرقوا بين أحلامنا كما يفّرقـون بين الإنسان وحواسه .. خيراً .. ؟

صلاح : كابوس فظيع .. أرجوك .. لا تسـألنى أن أرويه .. أتمنى أن أنساه ..

زاهر : هون على نفسك .. أنا أيضاً أرى فى منامى ويقظتى كابوساً يصرعنى .. أرى أنى أسـير فى متاهة كبيرة ، تطاردنى فيهـا الأفـاعى والأشباح وأكوام القمامة .. وأنا أجرى والدم يشلب من كل جسدى ، وإذا بنورٍ يضئ الدنيا كلّها يظهر داخله وجه عمى الشيخ وهو يمـد لى يده وينقذنى من كل هذا .. ثم فجأة أجدنى بين ذراعى شبحٍ مخيفٍ .. أول مرة رأيـت هذا الكابوس فزعت .. ولكننى تعودت عليـه بعد ذلك .. هل أجد عندك تفسيراً .. ؟

صلاح : أنت أقدر على تفسير الأحلام منى .. ؟

زاهر : يقال أن من يرى الميتْ فى الحلم سـيموت مثله

صلاح : **كلّنا موتى يا زاهر .. فلا تخف من شيئ .. آه لو كنا نصحوا من موتنا ..** [يضحك بسخرية] **معادلة غريبة أنظر .. نحن موتى .. والأموات أحياء .. كيف يحدث ذلك ونحن الأحياء وهم .. وهم ماذا .. ؟**

[إظلام .. ثم بؤرة يظهر بها الشيخ مخاطباً طفل (١) ، (٢) اللذان يجلسان أمامه ..]

الشيخ : لا تركنوا إلى النعيم الجاهز حتى تفلتوا من الموات ..

[يظهر خط ضوئى مستقيم واصـلاً الكـالوس الأيمـن بالأيسر وذلك بالقرب من مقدمة خشبة المسـرح .. يـدخل ويخرج عبره أهل القرية فى متوالية مستمرة ..]

رجل (١) : **[داخلاً]** البتـرول .. سنسـتحم بالـذهب كالأمطار **[ينظر لملابسه]** سأسـتبدل هـذه

الملابس الرثة ببذلة آخر صيحة فـى عـالم الأناقة .. نعم أستطيع أن أراقص أجمل بنات الدنيا وأستطيع أيضاً أن أزن ليلتها بقنـاطير الماس والعطر .. إنه البترول .. **[يخرج]**

الشيخ : سينفد .. المستقبل له مصادر طاقته الجديدة ..

طفل (١) : وكيف سنعرفها يا أبى .. ؟

الشيخ : العبقرية تسعون بالمائة منها عمـل .. ولا شيئ يستعصى على المنال .. ابحثـوا عـن مصادر طاقتكم الجديدة .. وعن موارد مائية جديدة ..

[يدخل رجلُ آخر وهو يتمشّى فى دلال حاملاً فى يده ورقة .. يدخل الكبير من الجهة الأخرى فيتقـابلا فـى منتصـف المسافة ..]

رجل (٢) : **[يمد له الورقة]** هذا هو التنازل به كل ما أملاك وهو كثير .. أريد مراعـاة ذلـك فـى الصرف على حصتى فعشرة آبار ليست كبئر

واحد ..

الكبير : نعرف

رجل (٢) : شكراً .. **[يخرج ..]**

[يدخل الغريب فيقابل الكبير قبل أن يخرج]

الكبير : أهلاً .. جئت فى الوقت المناسب ..

الغريب : هذه بلاد غريبة .. !

الكبير : وماذا يهمك من غرابتها ؟ ! خذ **[يناولـه نصف التنازل بعد أن يقطعه ..]**

الغريب : على رأيك .. المهم أن نجد السوق الملائـم لمنتجاتنا ..

[يخرج كلُ منهما من اتجاه .. تدخل امرأة وهى تحمل تليفزيوناً فوق رأسها وتزغرد .. تظهـر وكأنهـا تحـادث شخصاً وهمياً ..]

إمرأة (١) : تعالى وتفرج عندى .. لا تخـف زوجـى مسافر .. سترى العجب .. **[تخرج]**

رجل (٣) : **[داخلاً وهو يحمل سندوتشـاً كبيـراً ..]**

شاطر ومشـطور وبينهمـا طـازج .. آه ..
أتمنى أن يكون هذا الطازج بالخلطة السحرية

[يرمى الساندوتش ، ويبكى بحرقة كبيرة ويخرج ..]

المرأة (٢) : **[داخلة وهى تتأود داخل فستان ضـيق .. يتبعها رجل ينظر إليها بإشتهاء ..]** جميـل .. فاتن .. مبهر .. يبدو واسعاً بعض الشـيئ .. لا يظهر مفاتنى .. فى المرة القادمة يجب أن يكون أكثر سخونة .. **[يخرجان]**

[يدخل حارس (١) ، (٢) وهما ممسكان بطرفـى لجـامين لرجلين يحبوان أمامهما وكأنّهما حمارين ..]

حارس (١) : **[لرجل (٤)]** حمار

رجل (٤) : ليس ذنبى أنا .. إنها أرزاق

حارس (٢) : كيف لا تخرج أرضكما بترولاً ؟ ! كيـف تعيشان إذاً .. ؟ ! هل تتسولان .. ؟ !

رجل (٥) : أنا أعرف صنعة ..

حارس (١) : لدينا آلاف العمال ..

رجل (٤) : أنا .. أنا مهندس

حارس (٢) : لدينا مهندسين

رجل (٥) : طبيب

حارس (١) : وأيضاً أطباء

رجل (٤) : مفكّر ..

حارس (٢) : **[مغتاظاً]** قلت لك إن تفوهت مرة أخـرى بهذه الكلمة أمامى لن أكتفى بقتلك بل سـأمثل بجثتك ..

حارس (١) : هيا بسرعة .. نريد أن نصل

حارس (٢) : حذار أن تتنهقا كثيراً عندما تريا إناثكما ..

[يخرجون جميعاً .. يدخل رجلان آخران وإمرأه يقـف الشيخ .. يقترب منهم ..]

رجل (٦) : **[للشيخ]** كفى مواعظ يا شيخ .. إذا كـان مقدراً للبترول أن ينفد فلينفد .. سنجد أشـياءاً كثيرة غيره .. أحينى اليوم وأمتنى غداً .. ثم أن بلادنا ملئ بالخيرات ..

المرأة (٣) : أتود أن تخرب عقولنا كما خربـتْ عقـول الأطفال ..

يا لبجاحتك .. لقـد أمـرت أولادى بعـدم الاستماع إليه أو حضور مجالسه ..

رجل (٧) : يظن نفسه قديساً .. أو نبياً .. هذا الـزمن ليس له أنبياء .. أفـق ولا تتعـب نفسـك .. قرارنا ينبع من عقولنا ولن يغيره رجلُ مثلك ..

[يخرجون .. الشيخ فى ذهول .. يـدخل رجـل آخـر يحاول اللحاق بهم ..]

رجل (٨) : يووه .. رجل المواعظ مرة أخرى **[يشير بيده لأعلى]** انظر العصفورة **[يجرى خارجاً]** الحقونى ..

[بؤرة على معمل صلاح وزاهر ..]

زاهر : اليأس .. يائس أنا من كل شـيئ .. أنـا لا أعرف شيئاً غير اختراعى .. فإن أماتوه مُتْ معه ..

صلاح : اليأس أشد من الكفر فـلا تيـأس .. لابـد للأحزان من آخر ..

زاهر : صدقنى لا آخر .. سنموت كما مات الشيخ قبلاً .. أهل قريتنا كجبال الثلج لا يتحركـون .. فقط تفوح منهم رائحة الصقيع والموت ..

صلاح : إنهم لا يتعلمون إلا بعد أن يذوقوا المرار أو يموتوا ..

[يعود الشيخ لبؤرته .. يجلس أمام الطفلـين اللـذين يبدآن فى الترديد ..]

الطفلان : شخلل جيبك وإدينى منه

حته أرض بلـون النّـى

أسـكن فيها ويكبر حلمى

وأغزل علمى بسيفى بسنّى

الشيخ : إعرفوا أنفسكم ، وتعلموا كيف تفكرون .. ؟

[إضاءة خفيفة على معمل صلاح وزاهر ..]

صلاح : عرفنا يا أبى لكنهم لا يعرفون

[تزداد صرخات أهل القرية ، يعود خط الضوء .. يدخل أهل القرية وهم مطأطأوا الرءوس .. يقفون كالأوتاد ..]

الشيخ : إجهروا بالحقيقة أمام أنفسكم ..

رجل (١) : الحقيقة ..

رجل (٢) : الحقيقة ..

إمرأة (١) : الحقيقة ..

رجل (٣) : الحقيقة ..

إمرأة (٢) : الحقيقة ...

[يتصاعد تكرار الكلمة تدريجياً حتى تشـكل انفجاراً صوتياً .. يـدخل الكبيـر والغريـب فيصمت الجميع ..]

الكبير : ما هذا الذى كنا نسمعه .. ؟

رجل (١) : لا .. لا شيئ .. كأنه هاتف مر بخاطرنا ..

الكبير : هاتف ؟ ! .. اسمعوا .. يؤسفنى أن أبلغكم بنفاد مواردكم من المياه العذبة ..

[يأتى صلاح صارخاً ومن وراءه زاهر وهما يحمـلان أوراق الاختراعات الخضراء ..]

صلاح : لا .. إنه يكذب .. لا تصدقوه .. لم تنفد ..

[يدور صلاح بين الناس وهم لا يشعرون به ..] أرجوكم ..

زاهر : الناس لا تسمعنا يا صلاح ..

صلاح : أنا صلاح ابن الشيخ معلم الأطفال اسمعونى .. إنها لعبة جديدة ..

زاهر : إنهم لا يروننا ..

الكبير : مالكم تصمتون هكذا ؟ . انطقوا ..

رجل (٢) : ولكن ..

الكبير : **[صارخاً]** ولكن ماذا .. ؟

الغريب : **[للكبير]** لا تخيفـه فهـو منّـا وعلينـا **[للرجل]** قل ماذا تريد .. ؟

رجل (٢) : الأنهار ..

الغريب : جفّت .. وما تبقى من مياهه حولنا مجـراه إلى بعض البلاد الصديقة ..

صلاح : تحولون مياه الأنهار ونحن نموت هنا مـن العطش ..

زاهر : اسمعونا أرجوكم .. لدينا الحلول .. توجـد مصادر طاقة جديدة بديلة للبترول ..

صلاح : ويوجد استغلال للمياه المالحة فى المحيطات وتوفير للمياه العذبة .. كونوا معنـا .. أنـت [**لأحدهم**] هل ترانى .. ؟ وأنت [**لآخـر**] هل تسمعنى .. ؟ هل تسمعونى .. ؟ !

الشيخ : [**مبتسماً بسخرية**] صمت .. سكات بطول العمر .. بئس الأقوام التى لا تـتعلم ، فهـم كالحيوانات ذاكرتهم ضعيفة ..

[إظلام على الشيخ والطفلين .. يظهر ترديـد الأطفـال لبيتى الشعر مختلطُ بصوت خافت للناى كخلفية للمشهد حتى نهايته ..]

رجل (٣) : [**متردداً**] ولكن ..

الكبير : ما قصة " ولكن " هذه التى ترددونها .. ؟

الغريب : اتركهم يتحدثون بحرية .. يجب أن يعرفوا كل ما يريدون ..

رجل (٣) : والآبار

الغريب : إذا كانت الأنهار جفّت .. فما بالك بالآبـار .. ؟ !

رجل (٣) : والبترول .. ؟

الغريب : ما تبقى منه لا يكفى ثمنه لشراء شربة ماء ..

إمرأة (١) : وكيف لنا أن ..

الكبير : هذا شأنكم ..

إمرأة (٢) ولكنكم أنتم الذين تصرفون علينا ..

الغريب : لم يعد لنا طاقة لهذا .. إلا ..

صلاح : لا .. ارفضوا .. ستصبحون عبيداً

زاهر : ستداسون بالأحذية ..

صلاح : صدقونى هم جبناء .. أنتم الأقوى ..

الغريب : هناك حل ..

الجميع : ما هو .. ؟

الغريب : جبال الثلج ..

الجميع : جبال الثلج .. ؟ !

الغريب : آه .. وهى موجودة بكثـرة فـى القطـب الجنوبى .. وأقل جبلٍ فيها يكفى احتياجـات مدينــه صــغيره مــن الميــاه العذبــة لشهورٍ طويلة

إمرأة (١) : ولكننا

رجل (١) : لا نقدر

رجل (٢) : لا نستطيع ..

إمرأة (٢) : نحن ولايا ..

رجل (٣) : وأنتم الذين ..

الكبير : كفى هذا .. اذهبوا وإلا قتلتكم جميعاً .. يـا

حراس ..

الغريب : يا كبير .. لا تفعل هذا فهم أهلنا وكفى مـا هم وما نحن فيه .. سنتولى نحن هذه المهمـة ..

الكبير : ولكن ..

الغريب : لا تقل شيئاً .. أنا أحبهم ..

[يمد يده أمام أحد أهل القرية ..]

الكبير : **[صارخاً]** قبلها ..

صلاح : لا

زاهر : لا

صلاح أرجوكم .. اسمحوا لانفسكم أن تروننا ..

[تدخل مجموعه من الحراس .. يعطى أحدهم الغريـب كوباً مليئاً بالماء العذب .. يدور صلاح وزاهر بين النـاس وهما يرددان كلماتهما .. يعلو صوت الناى وترديد الأطفال ، يقّبل رجل (١) يد الغريب وينحنى أمامه .. يناوله الكبيـر شربة ماء .. يتكرر ذلك مع الذى يليه .. والـذى يليـه ..

تظهر أصوات شهقات بكاء مكتومة .. يظهر عازف النـاى داخلاً وهو يعزف على نايه .. يتوقف عن العزف بسـرعة يخرج لوحه وقلمه .. يحاول أن يسأل عما يحدث .. لا أحد يشعر به .. إظلام تدريجى ..]

آخـــر أيّـــام الدنيــا ..

[إضاءة بيضاء خافته الأطفال يـرددون الألفبائيـة .. الشيخ يتجول حولهم فى هدوء .. يدخل العـراف شـاهراً سكيناً فى يده .. يقترب من الشيخ .. يطعنه طعنات كثيـرة متوالية والشيخ يرسل ضحكات وقورة ولا يموت .. ينظـر العراف إلى السكين فى دهشة .. يلقيهـا بعيـداً .. يخـرج مسدساً ويصوب مجموعة طلقات إلى الشـيخ .. ضـحكات الشيخ مستمرة .. يرمى العراف المسدس ويخنق الشيخ يده تنفك من على رقبة الشيخ لتلتف حول رقبته هو .. يصرخ يدور كالثور الهائج داخل المكان .. تزداد أصوات ضـحكات الشيخ وترديدات الأطفال .. إظلام فجـائى .. ثـم إضـاءة حمراء تدريجية على الكبير والغريـب وأمامهمـا العـراف ومازال يخنق نفسه ..]

الكبير : **[صارخاً]** عراف .. ماذا بك .. ؟ أتحلّـم وأنت واقف .. ؟

العراف : لا .. آسف .. يبدو أن الأحلام تزورنى هذه الأيام وأنا مستيقظ ..

الغريب : وبماذا كنت تحلم .. ؟ بالثروة .. بالجاه ..

الكبير : وربما بعمادة القرية ... !

العراف : لا .. لا يمكننى أن أحلم بمثل هذا بـالطبع وأنتما أمامى ..

الكبير : لماذا .. ؟ هل نمنع أحلامك .. ؟

العراف : لا .. ولكن يمنعنى حيائى .. وفضلكما على ..

الغريب : أخشى عليك انقطاع الحياء يوماً ..

الكبير : الكلاب لا تعض أصحابها ..

[يضحكان .. يدخل أحد الحراس ..]

الحارس : سيدى بالباب ..

الكبير : **[مقاطعاً]** أعرف .. أدخلهما فوراً

الحارس : أمرك .. تفضلا ..

[يدخل صلاح وزاهر وهما مقيدان بالسلاسل وبمجرد أن يراهما الكبير يصرخ فجأة ..]

الكبير : ما هذا .. ؟ سلاسل .. من الأحمـق الـذى فعلها ؟ . لابد أن يموت أو يصاب أو ينفـى خارج الـبلاد .. كيـف يسلسـل علماؤنـا بالسلاسل .. ؟ ماذا حدث فى الدنيا .. ؟

الحارس : ولكن يا سيدى ..

الكبير : **[مقاطعاً]** اخرس واخرج الآن .. حسابك فيما بعد ..

[يخرج الحارس .. يفك الكبير قيودهما ..]

الغريب : أرجو أن تقبلوا أسفنا .. تفضلا

صلاح : لا يهم أى شيئ .. الذى يهم هو أن نعـرف لماذا نحن هنا .. ؟

الكبير : بيتى هو بيت أهل القرية كلّهم .. أنتما فـى بيتكما الآن ..

زاهر : إذاً يمكننا أن نخرج من بيتنـا .. هيـا يـا صلاح ..

الغريب : انتظرا .. لقد سمعنا عن إختراعيكمـا فـى

الزراعة بالماء المالح وفى مصادر الطاقة ..
ولذا .. [**يصمت**]

الكبير : نود أن .. [**يصمت**]

الغريب : أن تسافرا إلى الخارج لتتمكنا مـن إكمـال أبحاثكما

صلاح : لقد اكتملت أبحاثنا .. ولم يبق إلا تطبيقهـا والمساعدة الوحيدة إن أردتم هى التطبيق

الغريب : للأسف .. هنا لا نسـتطيع .. ولكـن فـى الخارج كل الأمور مهيأة .. ما رأيكما .. ؟

صلاح : لا ..

الغريب : لا .. ما معنى هذه الكلمة .. ؟

هل هى موضة رفض أم ماذا .. ! ؟

زاهر : موضة رفض .. هل رفض أحد قبلنا أن .. ؟

الكبير : لا .. بالطبع لم يرفض أحد عرضُ لنا ..

العراف : من يستطيع أن يفعل ذلك .. ؟

[تظهر بؤره ضوئية والشيخ داخلها مقيداً بالسلاسل ..]

الشيخ : أنا ... أنا لن أستطيع أن أبيع أطفالى .. كل حرف أعلمه لهم هو خطوة فى طريقهم للنور ..

[يدخل إلى البـؤرة حارسـان .. يضـربان الشيخ بالسوط ..] اقتلـونى .. أعـرف أن نهايتى على أيديكم .. هذا موقفى ولن أزيـف عقول الأطفال .. كفى ما صرنا إليه نحن ...

حارس (۱) : أنت وش فقر .. ترفض منصـب المفتـى العام للقرية وتقبل بالسجن فى هـذا المكـان الحقير ..

الشيخ : الحقير هو ما تفعلونه معى .. !

حارس (۲) : لقد أراد كبيرنا أن تكون لك مكانه عظيمـة تتلاعب بالذهب وتتمخطر كالطاووس ..

الشيخ : الموت أفضل مما تدعوننى إليه ..

حارس (١) : ألم أقلها .. وش فقر

[إضاءة متغيرة .. وعودة لـ صلاح وزاهر مع العراف]

العراف : الباب الذى يأتى لكما منـه الـريح سـكّاه وأستريحا .. لا تركبـا رءوسـكما .. فـى الخارج مال .. وشهرة .. ونساء .. و ..

صلاح : أسكت يا أتعس الناس .. لا أعـرف كيـف انخدع أبى فيك طوال مدة خدمتك له ..

العراف : الكلام عن الماضى لا فائدة منه .. أمامكما طريقان أولهما يوصل لكنوز الملك سـليمان والآخر للزنازين .. فماذا تختارا .. ؟ !

زاهر : الزنازين ..

العراف : عنيدان كالشيخ تماماً .. أخشى عليكما مـن نفس المصير .. فكّرا .. ؟ !

صلاح : الزنازين ..

العراف : فكّرا ..

[عودة للشيخ ومعه الكبير والغريب ..]

الشيخ : فكّرت ..

الكبير : وماذا اخترت .. ؟

الشيخ : الموت

الغريب : مجنون .. أترفض الـ ....

الشيخ : **[مقاطعاً]** أرفض الدنيا كلها لو جاءت من هذا الطريق ..

الكبير : وماله هذه الطريق .. نحن نرفعـك إلينـا نجعلك صاحباً لأكبر منصب كنت تطمح إليه فى مقابل أن تترك هذه الغوغائية التى تثيرها ومن وراءك عامة الشعب ..

الشيخ : وأنا أرفض ..

الغريب : **[صارخاً]** ستموت .. هل تعرف هـذا ؟ . نحن نعطى فرصة واحدة ..

الشيخ : لكل أجل كتاب ..

الغريب : **[صارخاً]** يا حراس .. ارجموه حتى يفيق

إلى عقله أو فليمت

[إظلام ثم عودة إلى صلاح وزاهر بمفردهما .. مقيدان داخل الزنزانة ..]

صلاح : أشعر بدوار شديد كأننى فوق ظهر سفينة

زاهر : لماذا لا يقتلوننا بدلاً من هذا التعذيب .. ؟

صلاح : حتى نستجيب لهـم .. ولكـن أيـن أوراق الاختراعات الخضراء .. ؟

زاهر : معى تحت قميصى .. صلاح لماذا لا نفكر أن ..

صلاح : أن ماذا .. ؟

زاهر : أن ...

صلاح : أن نستجيب ؟ !

زاهر : لن نخسر شيئاً نجرب ..

صلاح : ياه .. كنت أخاف من هذا .. . نجرب ماذا .. ؟ أن نسافر ؟ ! أن نعطى إختراعاتنا لغيرنا ثم ننتظر حسناته ؟ !

[يضحك بسخرية] القطـن .. المعـادن .. اللحوم .. النباتات .. و .. و .. نصدرها ثـم نستوردها مصنعة .. لماذا لا نصنعها نحن .. إختراعى فى يدى لا ينقصه سوى التطبيق .. لماذا نطبقّه هناك ثم نعود لنشتريه هنا .. ؟ !

زاهر : لابد وأنهم يعرفون مصلحة القرية أكثر منّا .. فكر يا صلاح فى المصير ..

صلاح : زاهر .. لن أناقشك .. إفعل ما تريد ..

زاهر : صلاح أنا ..

صلاح : لا تبرر شيئاً .. هنا موت .. وهناك موت .

[يطأطئ صلاح رأسه .. ومع خفوت الإضاءة نسمع بكاءه .. إضاءة على الشيخ والحراس يرجمونه بـالطوب وهـو مازال مقيداً بالسلاسل الغريب يقف بجـواره يأكـل بعـض أصابع الموز ...]

الشيخ : آه ...

الغريب : وافق

الشيخ : لا .. آه

الغريب : أنت الذى تعذّب نفسك .. بأمكانك أن تصير عظيماً مثلى ..

الشيخ : أنت شهيرُ ولكنك لست عظيماً ..

الغريب : إخرس .. زيدوه ضرباً .. أنا أستطيع أن أقتلك الآن ، وسأشرد كل من تسول له نفسه مخالفتى على هذه الأرض ..

الشيخ : تذكر .. أنك تحيا على هذه الأرض بشروطها لا بإمكانياتك ..

الغريب : لا أفهم ما تهذى به .. الذى أفهمه جيداً ومتأكد منه هو أنى قوى ولى نظرة صائبة لا تخطئ .. ولذلك ستحيا قريتنا دوماً فى سلام ..

الشيخ : مصيبة أهل قريتنا أن الأغبياء دائماً متأكدون والأذكياء دائماً مترددون ..

الغريب : ومصيبتك أنك ستموت ..

الشيخ : البشر لآدم .. وآدم من تراب .. سأعود إلى التراب وسأنبت شجرة يأكل أطفال القرية من ثمارها أو سنبلة قمح يُصنع منها رغيف خبز .. وربما يموت جسدى وتظل روحى هائمة تطارد أهل القرية ... تستحثهم على الخلاص .. ثم تركن فى الليل إلى الأطفال تعلمهم القراءة والحساب .. آه .. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ..

[يموت الشيخ .. يظهر صوت ترديد الأطفال للألفبائيـة .. يخرج الغريب والحراس .. خفوت تدريجى للإضاءة .. نعود للزنزانة .. صلاح وزاهر والحراس ..]

صلاح : أهو الفراق ؟

زاهر : نعم **[يفك الحراس قيود زاهر]**

حارس (١) : هيا .. بسرعة .. كبيرنا يود رؤيتك قبل أن تسافر ..

زاهر : وأنت يا صلاح .؟

صلاح : مربوط أنا فى ساقية هذه البلاد وإن رحلت

سأموت

حارس (٢) : سننتظرك بالخارج .. **[يخرج الحراس]**

زاهر : إلى اللقاء يا صلاح **[يهم بالخروج]**

صلاح : **[ينادى]** زاهر ..

[يعود زاهر مسرعاً يرتمى فى حضن صلاح باكياً ..] هى أقدارنا .. فلا تبكِ .. **[ينهض زاهر ويخرج]** ملعونة هى البلاد التى تطرد أولادها ..

[تتغير الإضاءة ... موسيقى حالمة مختلطة بصوت الناى .. تظهر سلمى بفستان العرس]

سلمى : صلاح .. صلاح ..

صلاح : **[يستيقظ مفزوعاً]** من .. ؟

سلمى : لا تخف يا صلاح .. أنا سلمى

صلاح : سلمى .. انتظرتك كثيراً ..

سلمى : لقد جئت بثوب الزفاف .. هيا انهض .. لم

يبقَ أمامنا وقت ..

[يتخاص صلاح من قيوده .. ينهض .. يحتضنها .. يرقصان]

صلاح : كم اشتقت إليك ..

سلمى : وأنا أيضاً .. هل تعرف من سيحضر زفافنا

صلاح : من .. ؟ **[يظهر الشيخ]** أبى .. ! كيف حالك يا أبى .. ؟

الشيخ : بخير يا ولدى .. ولكن قل لى كيف تسير أمور قريتنا .؟

صلاح : أسوأ مما كانت يا أبى .. لقد حدث ...

الشيخ : **[يقاطعه ..]** دعها لغيرنا .. فنحن لم نعد قادرين على نفعها أو خدمتها .. لها الله يا ولدى ..

سلمى : العُرس .. أنسيتم عرسى .. ؟

الشيخ : لا .. سنزفكما الآن ..

[تظهر الأطفال وهم يحملون الشموع يتحلّقوا حول صلاح وسلمى .. يظهر ضاحى

أيضاً ..]

ضاحى : كم تأخرت علينا يا صلاح .. انظر .. هذا قصرك **[يشير فى إتجاه عمق الفضاء المسرحى]** وأنا بجوارك .. وأبونا الشيخ أيضاً .. وستجد الكثير من أحبابك هنا ..

الشيخ : والآن .. هيا بنا ..

[أصوات دفوف مع اختفاء تدريجى لللإضاءة .. ثم إضاءة تدريجية حيث نجد أهل القرية وهم ينتشرون داخل أرجاء الفضاء المسرحى فى حالة تدعو للرثاء .. أحدهما يطارد شيئاً وهمياً .. وآخر يحك جاده بقوة ثم يخلع ملابسه فى محاولة لتنظيفها ، وثالث يبكى بصوت مكتوم وبجواره شخص ميت .. ورابع يأتى بحركات جنونية غريبة ثم يصفع نفسه مرة وشخص وهمى يتخيله أمامه مرة أخرى .. وتوجد امرأة تغرى أحد الحراس أمامها وهو يتأففّ منها ويحاول الابتعاد عنها .. ورجلان آخران يزحفان باتجاه طبق فى منتصف خشبة المسرح تسقط فوقه نقاط الماء .. وعندما يصلان إليه يتعاركان ليقتل أحدهما الآخر .. ثم ينهضان ليعيدا نفس ما حدث مرة أخرى ..

يدخل عازف الناى وقد أصبح رجلاً هرماً .. انحنى ظهره .. طالت ذقنه وابيض شعرها .. يتوكأ على عصاً كبيرة .. يمشى ببطء شديد .. يتخير مكاناً فى أحد الأركان ويجلس .. يخرج نايه ويحاول العزف عليه فتخرج نغماته شائهة وغريبة .. يلقى بالناى .. يحاول أن يكتب على اللوح لكنه يعود فيشطب ما كتب .. يرمى اللوح والقلم يتأمل ماحوله فى صمت ..

يدخل أحد الأطفال وهو يحمل معه أوراق الاختراعات الخضراء يسير حتى يصل لعازف الناى .. يناولها له .. يدخل بقية الأطفال يجلسون حول العازف ..

فى عمق الفضاء المسرحى .. يظهر الغريب فى مكان عال وهو يرسل ضحكة خفيفة .. يليه وفى مكان أقـل إرتفاعـاً الكبير .. ثم العراف ولكن الحراس يزيحونه أيضاً ليقف فى آخر الصف المتدرج صعوداً حتى الغريب .. إضاءة شـديدة عليهم فقط .. ومع الإظلام التدريجى للفضـاء المسـرحى يتعالى صوت ضحكاتهم ، وصوت الأطفـال وهـم يعيـدون ترديد الألفبائية ..]

إبراهيم البسيوني

فبراير ٢٠٠١